

التسامح الديني في سوريا والتعايش بين الأديان



د. علاء الدين الحموي

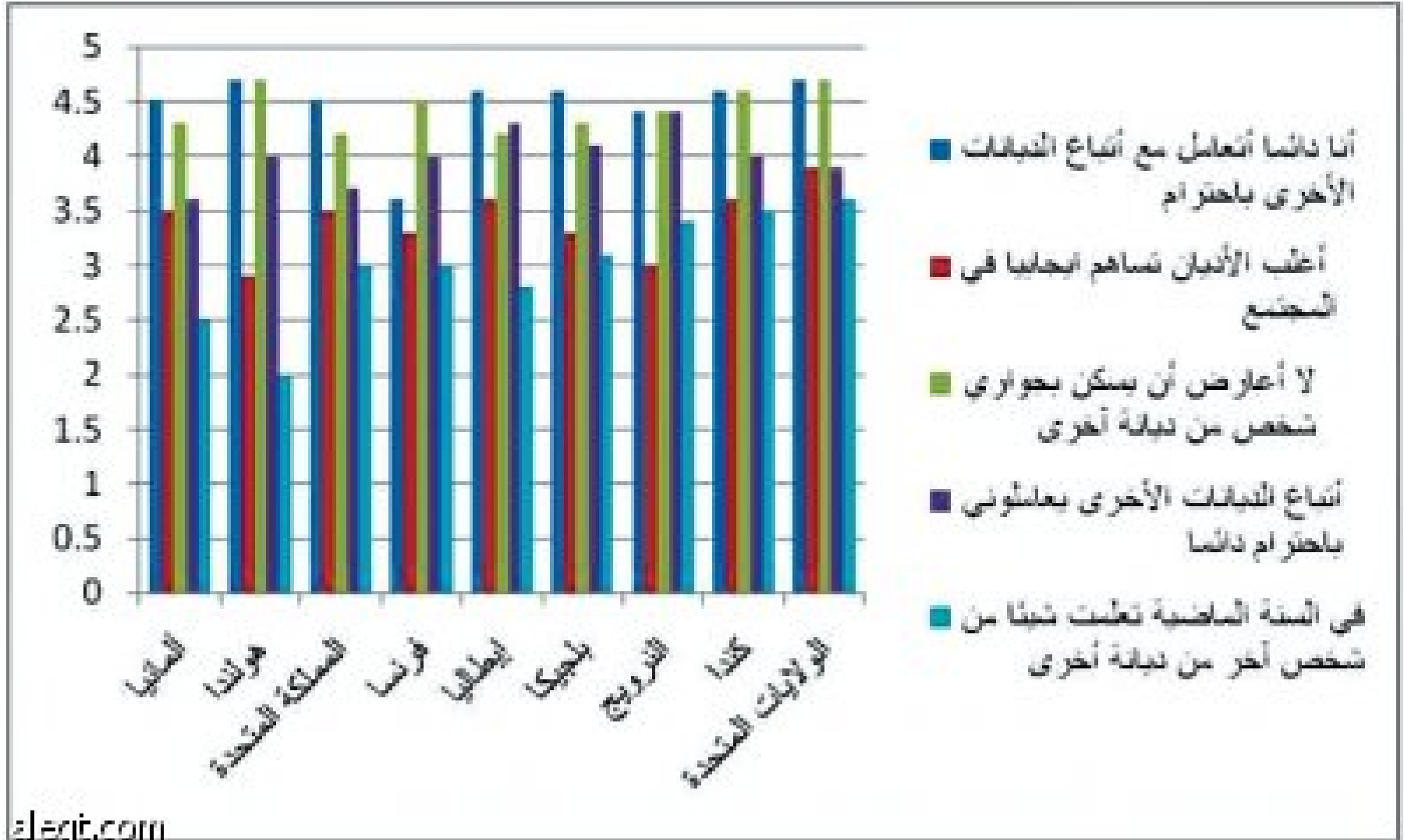
١٢/٨/٢٠٠٩

ad.hamwe@scs-net.org

التعايش/لغة/ومقارنة

- تعايشوا : عاشوا على الألفة والموادّة، ومنه التعايش السلمي، وعَاشَه : عاش معه.
- والعيش معناه الحياة، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل. (المعجم الوسيط)
- الغرب يُؤثِرُ أن يكون المقصود بالتعايش السلمي هو ما يُطلق عليه : (عِشْ ودَعْ غيرك يَعِيش أيضاً).

التعددية الدينية، ومدى تقبلها، والانتفاع منها



التعايش بين الأديان

- إن التعايش بين الأديان، الذي هو في الوقت نفسه تعايشٌ بين الثقافات والحضارات، إن لم يكن الهدف منه خدمة الأهداف السامية التي يسعى إليها الإنسان، ضاع المعنى الإيجابي منه، وصار إلى الدعاية، أقرب منه إلى الصدق والتأثير في حياة الإنسان المعاصر.

التعايش

- خدمة الأهداف الإنسانية السامية
- تحقيق المصالح البشرية العليا (الأمن والسلام، ردع العدوان والظلم والاضطهاد).
- الاحترام المتبادل، والثقة المتبادلة.

التقارب والتعايش

- محاولات التقارب بين الأديان والمذاهب المختلفة لم تخلُ منها أمة من الأمم في التاريخ القديم كما في الحديث.
- تلك المحاولات لم تكن يوماً من قبيل الترف بقدر ما كانت في حقيقتها استجابة لسببين رئيسيين:

ضرورات التقارب

- أولهما: استحالة الوحدة الدينية ومثلها الوحدة المذهبية داخل الدين الواحد.
- والتاريخ البشري خير شاهد على هذه الحقيقة التي يشهد لها القرآن الكريم بقول الله تعالى: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين) (سورة هود).

ضرورات التقارب

- وثانيهما: التبعات السلبية لتلك التعددية التي قد تنشأ من اعتقاد كل طائفة أو فرقة أن عليها "واجب" قسر المخالفين لها على معتقداتها من منطلق اعتقادها "قطعية" الحق فيها وحدها والاعتقاد بـ "ضلال" أولئك الذين لم يعتقدوها.
- وإلا فالبديل سيكون كما أثبتت ذلك التجربة الأوروبية أيام ما كانت دولها ذات مجتمعات دينية.

التهم الجاهزة

- "قامع للسنة محيي للبدعة"
- "خائن لآل البيت متحالف مع الحشوية"
- "بائع لدينه"
- متخل عن نصره الصحابة متحالف مع الروافض"

التعايش والقرآن

- والتعايش له أساس من القرآن الكريم الذي أشار في الآية (١٠٨) من سورة الأنعام طبقاً لاقتناع كل طائفة بمعتقداتها (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم، كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)..
- والآية انطلاقاً من حرية العقيدة، ووفقاً لما تبتغيه من علاقة سليمة، أجدد بأن تكون عنواناً للعلاقة بين أتباع المذاهب المختلفة.

التسامح

- التسامح ضرورة حياتية تبقى الحاجة قائمة لها ما دام هناك إنسان يمارس العنف والاقصاء والتكفير، ويرفض التعايش السلمي مع الآخر المختلف (أياً كان الاختلاف: ثقافياً أو دينياً أو سياسياً).
- بل الحاجة إلى التسامح تشتد مع إتساع رقعة التنوع الإثني والديني، لامتنعاص تداعيات الاحتكاك بين الثقافات والأديان، والخروج بها من دائرة المواجهة إلى مستوى التعايش والانسجام.

التسامح في التفاعل الحضاري

- نحن أمة نعيش ضمن قرية كونية سقطت فيها حواجز الزمان والمكان، وليس لنا من سبيل أن نتفوق على ذاتنا حيث لا بد من تبادل المنافع ورعاية المصالح، ولابد أن تمد الجسور مع الآخرين من غير أن تذوب شخصيتنا وخصوصية حضارتنا، من غير انطواء، فالحكمة ضالة المؤمن يأخذها أي وجدها وممن جاء بها.
- والحضارات تتقاسم أقداراً من القيم، ولهذا لا بد أن نأخذ بالنافع المفيد من اللباب والجوهر، ونعرض عن القشور.

أنواع التسامح

- التسامح الديني : وهو التعايش بين الأديان، بمعنى حرية ممارسة الشعائر الدينية والتخلي عن التعصب الديني والتميز العنصري الديني.
- *التسامح الفكري: آداب الحوار والتخاطب وعدم التعصب للأفكار الشخصية، والحق في الإبداع والاجتهاد.

قيم التسامح الديني

- التسامح ليس هو التنازل أو التساهل أو الحياد اتجاه الغير.
- بل هو الاعتراف بالآخر، والاحترام المتبادل، بحيث: "الدين هو المعاملة"، وهو:
- ضرورة وجودية.
- احترام المتبادل.
- مساواة في الحقوق.

التسامح

- التسامح يستوجب: التقدير المشترك، والدعوة إلى التعارف.
- التعامل في نطاق الدائرة الموضوعية (دائرة تبادل المعارف والمنافع والمصالح التي يعود مردودها بالخير على الجميع) دون المساس بدائرة الخصوصية.

التسامح الديني

- مطلب إنساني نبيل دَعَت إليه الأديان كافة.
- تُحتمه ثقافة العولمة (قيم حضارية ومدنية نبيلة).
- والأديان بحكم إنتمائها إلى السماء، فإنها لا تأمر إلا بالخير والحق والصلاح ولا تدعو إلا بالبرّ والحب والرحمة والاحسان، ولا توصي إلا بالأمن والسلام.

الأديان والتسامح

وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

- الإشكال ليس في الأديان ذاتها، وإنما هو كامن في عُمق إفهام بعض القائمين عليها، ولا زالت المفارقات بين المبادئ والممارسات الواقعة هنا وهناك كثيرة.
- وما كانت يوماً في حدّ ذاتها عائقاً أمام التبادل والتلاقح، ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، وإنما العائق يكمن في الذين يتوهّمون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، ويستغلّون الأديان في أقدار الناس.

الإسلام والتسامح

- الإسلام دين التسامح والسلام حيث قال رسول الله (ص) في التسامح " بعثت بالحنفية السمحة" .
- الإنسان مكرم بحكم أنه صنعة الله، { ولقد كرّمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر، ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً { الإسراء : ٧٠ .
- القرآن الكريم سمى الشُّرك ديناً على الرغم من وضوح بطلانه، لا لشيء إلا لأنه في وجدان معتقيه دين.

الاسلام والتسامح

- ولم يكتف القرآن بتشريع حرية التدين، بل دعا المسلمين إلى أن يكونوا لغيرهم موضع حفاوة ومودة وبر وإحسان. قال تعالى: { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتُقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } سورة الممتحنة. الآية: ٨.
- يحذر أتباعه وينهاهم عن سبّ المشركين وشتم عقائدهم، { ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم } سورة الأنعام. الآية: ١٠٨.

الإسلام والتسامح

- قام الإسلام على مبدأ عدم الإكراه قال تعالى : " لا إكراه في الدين "سورة البقرة الآية ٢٥٦ .
- عمر بن الخطاب يطبق ما رسمه الله تعالى للدعاة حين دخل بيت المقدس فأعطى الأمان لسكانها من النصارى " أن لا تسكن مساكنهم ولا تهدم ولا ينقص من أموالهم شيء ولا يُكرهون على دينهم".

المسيحية والتسامح

- من تعاليم المسيح في الانجيل:
- لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر، ومن أخذ رداك فأعطه ازارك، ومن سخرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين .
- عاشروا الناس معاشرة إن عشتم حتّوا إليكم، وإن متّم بكوا عليكم .

اليهودية والتسامح

- من وصايا موسى في التوراة:
- كل ما تكره أن يفعله غيرك بك فإياك أن تفعله أنت بغيرك .
- اغتسلوا وتطهروا وأزيلوا شرّ أفكاركم وكفّوا عن الإساءة .
- تعلّموا الاحسان والتمسوا الانصاف .

شواهد من التاريخ الإسلامي على تسامح الرسول

- استقبل الرسول وفد نصارى الحبشة، وأكرمهم بنفسه وقال :
" إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين، فأحبُّ أن أكرمهم بنفسي " .
- * استقبل النبي وفد نصارى نجران، وسمح لهم بإقامة الصلاة
في مسجده .
- * استقبل النبي هدية من المقوقس في مصر، وهي الجارية
التي أنجبت له إبراهيم، وقال: " استوصوا بالقبط خيرا، فإنَّ
لي فيهم نسباٌ وصهرا " .

شواهد من التاريخ الإسلامي على تسامح الرسول

- المشرك مُطعم بن عدي، دخل النبي في حماه، حينما عاد من الطائف، إلى مكة، ثمّ ذهبت الأيام، وتوالت، وإذ بمطعم يموت كافراً، فوقف حسان الشاعر المسلم ورثاه فقال:
فلو أنّ دهرأ أخذ مجده اليوم واحداً
لأخذ الدهرُ مجده اليوم مطعماً
- فبكى النبي صلى الله عليه وسلم.

شواهد من التاريخ الإسلامي على تسامح الرسول

- موقف الرسول من قريش أثناء فتح مكة «اليوم يوم الرحمة..».
- يسمي الإسلام أهل الكتاب (اليهود والنصارى) أهل الذمة، ومعناه ذمة الله وعهده ورعايته: (من أذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة).
- «ولذلك بقي غير المسلمين في بلادنا إلى اليوم دون اضطهاد في حين أن الصليبيين حينما احتلوا الأندلس لم يتركوا مسلماً يعيش فيها»

شهادة بعض علماء الغرب عن التسامح في الإسلام

● " لقد عامل المسلمون الظافرون العرب المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح في القرون المتعاقبة، ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما اعتنقته عن اختيار وإرادة وحرية". توماس أرنولد في كتابه " الدعوة إلى الإسلام"

● " التسامح عند محمد واجب ديني وأمر شرعي". الباحث الفرنسي مارسيل بوازار

شهادة بعض علماء الغرب عن التسامح في الإسلام

- "ولا شك أن التسامح الأكبر أمام اعتداء أصحاب الديانات الأخرى، وأمام إرهابات وتخريفات اللادينيين، التسامح بمعناه الإلهي، غرسه رسول الإسلام في نفوس المسلمين، فقد كان محمد المتسامح الأكبر، فتبعه أصحابه وتبعه المسلمون، وكانت وما زالت صفة التسامح هي إحدى المميزات والسمات الراقية للدين الإسلامي.
- وللحق أقول: إن تسامح المسلم ليس من ضعف؛ ولكن المسلم يتسامح مع اعتزازه بدينه، وتمسكه بعقيدته". الفيلسوف الألماني "غوته" في كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم).

شهادة بعض علماء الغرب عن التسامح في الاسلام

• "كان محمد شديد التسامح، وبخاصة نحو أتباع الأديان الموحدة.

ولقد عرف كيف يتذرع بالصبر مع الوثنيين، اعتقادًا منه بأن الزمن سوف يتم عمله الهادف إلى هدايتهم وإخراجهم من الظلام إلى النور..

لقد عرف جيدًا أن الله لا بد أن يدخل آخر الأمر إلى القلب البشري". - لورافيشيا فاغلييري .

شهادة بعض علماء الغرب عن التسامح في الإسلام

- "إن الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى ، وهو الذي أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وحرّم قتل الرهبان - على الخصوص - لعكوفهم على العبادات.
- ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس
- وقد ذبح الصليبيون المسلمين و حرقوا اليهود عندما دخلوها ".
القس الألماني ميشون .

من أمثلة التسامح

- دخل الخليفة عمر إلى بيت المقدس، فلتقاه البطريرك وطاف معه أرجاء المدينة حتى دخل كنيسة القيامة، فلما حان وقت الصلاة، قال للبطريرك : أريد الصلاة.
- فقال له : صلّ في موضعك، وكان في قلب الكنيسة، فأبى خشية أن يقتدي به المسلمون، ويقولون (هنا صلى عمر)، فصارت الصلاة لنا في داخلها حقاً، على مظنة أن ما فعله عمر بموافقة البطريرك، تعديلٌ لما شرط في العهد.
- بل إن عمر خرج وصلى على درج باب الكنيسة.

من أمثلة التسامح

- تقوم كنيسة كاثوليكية ألمانية بحملة لجمع تبرعات للمساهمة في بناء مسجد للمسلمين بمدينة كولونيا من أكبر مساجد ألمانيا، يشتمل على منذنتين بارتفاع ٥٥ مترا وقبة كبيرة، ويتسع صحنه لأكثر من ثلاثة آلاف مصل، هدية رمزية لإخوانهم المسلمين بمثابة "عربون صداقة" وفتحة لحوار مستمر بين الديانتين..
- "إن مثل هذه الفكرة من شأنها تعزيز موقف المعتدلين، وتدعم العقلاء، ونحن نتعلم منهم الكثير وهم أيضا يتعلمون منا، إنه لأمر طبيعي تماما أن نساعدهم، لنا ديننا وللمسلمين دينهم لكننا في نهاية المطاف نعبد الها واحدا".

من أمثلة التسامح

- " انا مسيحية واعيـش ضمن عائلة مكونة من خمسة خوارنة ومطران، وشارك صيام الشهر الفضيل لان الصيام لله وحده، وبالرغم من تناولـي للادوية اليومية الا انني اكابر على صحتي من اجل صيامي مع المسلمين واکون مرتاحة.
 - اننا نعيش كالأخوة ولا نفرق بين المسلم والمسيحي وآمل ان يحذو الجميع حذونا، حيث العلاقة بين المسلمين والمسيحيين في البلدة، أساسها المحبة والود والإحترام.
- أم منصور.

من أمثلة التسامح

- وتقول " : كنت يوماً أهم للصعود على درج البيت وبدأ المؤذن يؤذن للصلاة، وبدأت أردد ما يقوله، واذ بفتاة من الجيران تقول لأمها: ان الخورية ام منصور أسلمت!
- فبدأت اضحك وقمت بالشرح لها، ففهمت الفتاة ذلك.
- وعن خطبة الجمعة قالت: " اترك كل اعمالك واجلس على عتبة البيت لاستمع للخطبة صاغية لكل كلمة يقولها الخطيب من كلام الله تعالى، كذلك فإنني استيقظ على آذان الفجر وأسبح لله ما أجمل أن تبدأ يومك بذكر الله تعالى.

التسامح الديني في سوريا

- سياسة وطنية (مناهج، إعلام، وظائف، خدمات....)
- ضرورة اجتماعية (الأمن والنماء..)
- واقع معاش (زوايا النسيج الوطني...)
- نضال مشترك (في الحرب والسلام..)
- ميدان تنافس ومكافأة (ثقافة يتوارثها الأجيال)
- أخوة وطنية بمواقف الرئيس الخالد حافظ الأسد
- أخوة وطنية بمواقف الرئيس الدكتور بشار الأسد

الخاتمة

- لعلّ الإطار الذي رسمه الشيخ محمد الغزالي للتعايش، يمثل الصيغة المثلى لتحديد صورة التعايش، فقد وضع ثلاثة مبادئ للتعايش والحوار بين الأديان، هي :
- أولاً : الاتفاق على استبعاد كل كلمة تخدش عظمة الله وجلاله، وأنه ليس متصفاً بالنقائص والعيوب التي تشيع بين البشر
- ثانياً : الاتفاق على أن الله يختار رسله من أهل الصدق والأمانة والكياسة.
- ثالثاً : ما وجدناه متوافقاً في تراثنا نردُّ إليه ما اختلف فيه.

الخاتمة

- من هذه المبادئ يمكن أن ننطلق في التعاون على ما فيه الخيرُ والصلاح لوطننا وللإنسانية جمعاء، في سبيل السلام العالمي، والأخوة الإنسانية، التي سمّت إليها الروح الدينية العالية، وحطمت بها الفلسفة منذ شروق شمس الحياة الفكرية، ثم لا تزال تتطلع إليها العناصر الكريمة في الحياة.

الخاتمة

- والاشتراك في جهود علمية ثقافية، تعود بالفائدة على الجميع، لأنها تصبُّ في اتجاه تعميق التفاهم، وإشاعة القيم الإنسانية، وإقامة جسور التقارب الإنساني، والتعاون في المحافظة على سلامة البيئة، ومحاربة الأمراض الخطيرة، ورفع الظلم عن الشعوب، والعملُ على إقرار مبادئ الحق والعدل، واحترام كرامة الإنسان من حيث هو إنسان وكفى.

وشكراً لإصغائكم

د. علاء الدين الحموي

عميد كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

مستشار البرنامج الانمائي لتدريب القادة الدينيين في البلاد العربية

عضو مجلس الأمناء بمجمع الشيخ أحمد كفتارو

خطيب جامع صلاح الدين

ad.hamwe@scs-net.org

♦♦ ٩٦٣/٩٤٤ ٢٧ ٥٧ ٨٧